رفع مستوى المعيشة بين سكان الريف (*)

إن مصر كسائر الأمم الديموقراطية الأخرى التى تعنى كل العناية برفع مستوى المعيشة لشعبها وخاصة سكان الريف الذين تبلغ نسبتهم حوالى ٨٠٪ من جملة السكان، ولتحقيق هذا الهدف القومى أنشأت الحكومة مجلسا أعلى لشئون العمال والفلاحين، الغرض منه دراسة وتنسيق المشروعات التى تتقدم بها الوزارات والهيئات الأهلية المختلفة والتقدم بتوصيات فيما يراه من وجود الإصلاح ووضع برنامج شامل تعمل الحكومة على تنفيذه تدريجا بقدر ما تسمح به مواردنا المالية ومقدرتنا التنفيذية، ولكل وزارة من الوزارات نصيبها فى هذه الحركة الإصلاحية، ولوزارة الشئون الاجتماعية نصيب وافر فى هذا البرنامج، فمن أهم المشروعات التى تنهض بها أو التى درستها وأعدتها وتنوي القيام بها لتحقيق هذه الغاية هى:

مشروع المراكز الاجتماعية، وجمعيات الإصلاح الريفى، وتشجيع الصناعات الريفية بالقرى، والعمل على رفع مستوى الأجور بين عمال الزراعة وتنظيم العلاقة بين ملاك الأراضى الزراعيـــة ومستأجريهـا، وفرض خدمات اجتماعية وصحية على أصحاب العزب، وتوزيع الأراضي الحكومية المستصلحة على صغار الفلاحين، ورفع المستوى الثقافى بين سكان الريف، وتشجيع الحركة التعاونية لتحسين الإنتاج الزراعى وتسويق المحاصيل.

(أولا) مشروع المراكز الاجتماعية:

وضعت مصلحة الفلاح مشروع المراكز الاجتماعية بعد دراسات مستفيضة عن نواحى الإصلاح الريفى واستعراض مشاكل الفلاح والقرية، ودراسة مختلف النظم والتشريعات التى أخذت بها الأمم الأخرى المماثلة لمصر، واقتباس ماينفع منها لإصلاح القرية المصرية والنهوض بالفلاح المصرى إلى المستوى اللائق به، وروعى عند تنفيذ هذا المشروع أن يشمل إصلاح كافة نواحى الحياة الريفية من اقتصادية واجتماعية وصحية وثقافية فى وقت واحد، وأن يستند إلى اقتناع الأهالى وتعاونهم ومساهمتهم كل على قدر استطاعته، على أن يجمع المشروع بين البساطة

* مذكرة قدمت إلى مؤتمر مؤسسة التغذية والزراعة المنعقد فى فبراير سنة ١٩٤٨ بالقاهرة بشأن مشروعات مصلحة الفلاح والتعاون بوزارة الشئون الاجتماعية لرفع مستوى المعيشة بين سكان الريف.

ورخص التكاليف وسهولة التنفيذ والتدرج مـــع الأهالى فى إصلاح القرية حتى يصير هذا الإصلاح أهليا من القرية وإلى القرية .

قامت مصلحة الفلاح بتنفيذ المشروع منذ سنة ١٩٤١ وأصبح لها فى الريف حتى سنة ١٩٤٦ أحد عشر مركزا اجتماعياً تخدم ٢٥ قرية وبعد نجاح هذه التجربة وما جاءت به من نتائج وخدمات ملموسة رأت الحكومة أن تعمم المراكز الاجتماعية فى كل القرى ، وذلك بإنشاء مركز اجتماعى فى كل قرية أو مجموعة متجاورة من القرى يبلغ تعدادها فى المتوسط ١٠٠٠٠ نسمة على أساس أن يبلغ عدد هذه المراكز عند مايتم تعميمها ١٢٠٠ مركز اجتماعى لخدمة كافة القرى . وقد بدىء فعلا فى تنفيذ هذه السياسة بانشاء أربعين مركزا خلال عام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ وجارى إنشاء ثلاثين مركزا أخرى هذا العام .

ويقوم المشروع على أساس مساهمة الأهالى بالتبرع بمبلغ لايقل عن ١٥٠٠ جنيه ومساحة فدانين من الأرض بدون مقابل لإقامة المبانى عليها مساهمة منهم فى مصاريف التأسيس التى تبلغ حوالى ١٠٠٠٠ جنيه فى السنة الأولى و ٢٥٠٠ جنيه سنويا بعد التأسيس .

ويتكون كل مركز اجتماعى من الوحدات التالية :

(١) دار للخدمة الاجتماعية : يعمل بها إخصائى زراعى اجتماعى من خريجى كلية الزراعة أتم دراسة منهج خاص فى الخدمة الاجتماعية الريفية ، ومهمته دراسة القرية من جميع النواحى والتعرف بالأهالى جميعاً ، وكسب ثقتهم وتشكيل اللجان المختلفة منهم للاضطلاع بمهمة الإصلاح الريفى كل فيما يخصه . وسيأتي توضيح ذلك فيما بعد . ويتولى الإخصائى إرشاد أهل القرية فى الأعمال الزراعية ومساعدتهم فى الحصول على التقاوى الممتازة وخلايا النحل الحديثة ومقاومة الآفات ونشر الصناعات الزراعية وإدخال زراعات جديدة ، واتباع أساليب الزراعة الحديثة . ويهتم الإخصائى بحل مشاكل الأهالى وتسهيل كل ما يطلبونه من خدمات لدى المصالح الحكومية المختلفة ، كما يقوم ببث الروح الرياضية ونشر حركة الكشف والمعاونة فى فتح فصول ليلية لتعليم الكبار .

(٢) عيادة طبية : يعمل بها طبيب وملحقة بها صيدلية لصرف الدواء مجانا للمرضى ويقوم الطبيب بإسعاف المصابين وإجراء العمليات الصغيرة وعلاج

الأمراض المتوطنة وعمل فحص طبى شامل لجميع أهالى القرية وتطعيم الأهالى ضد الأمراض المعدية ، ويعمل على توفير المياه الصالحة للشرب والنظافة الشخصية للأهالى وكذلك نظافة القرية نفسها .

(٣) دار لرعاية الأم والطفل : تعمل بها حكيمة « زائرة صحية » من خريجات قصر العينى ، وتقوم بزيارة نساء القرية والإشراف على الولادات بها ، مستعينة فى عملها بدايات القرية مع مراقبتهن كما تقوم بأخذ عينات الدم للحوامل والإشراف على صحهن وصحة المواليد ، وتلقى محاضرات صحية على نساء القرية ، وتنظم طابور القطرة للأهالى وفى مقدمتهم تلاميذ المدرسة ، كما تقوم الزائرة الصحية بتشكيل فرق من بنات القرية لتعليمهن أشغال الإبرة والتريكو .

ورغبة فى نشر الروح الديموقراطية الصحيحة وتعويد الأهالى على خدمة أنفسهم بأنفسهم يشترك أهالى كل مركز اجتماعى فى انتخاب مجلس إدارة المركز الذى يقوم بدوره باختيار أعضاء اللجان المختلفة التى تعمل تحت إشراف موظفي المركز كل فيما يخصه ، وهذه اللجان هى :

لجنة الاقتصاد والزراعة — لجنة الشئون الصحية والعمرانية — لجنة البر والإحسان — لجنة الثقافة والرياضة والحفلات — لجنة المصالحات .

وقد ورد فى تقرير مستر هنرى تيدى مندوب مكتب العمل الدولى بالمؤتمر الإقليمى الآسيوى بعد زيارته وزملائه لأحد المراكز الاجتماعية وصف لعمل هذه المراكز وتقدير لنظامها وخطة العمل فيها كوسيلة ناجحة للإصلاح الريفي الشامل .

كما قامت المراكز الاجتماعية بجهود موفقة فى مقاومة وباء الكوليرا فى قرى هذه المراكز بتطعيم الأهالى وعزل المرضى منهم .

ويوجد الآن ٥١ مركزاً اجتماعياً موزعة على مختلف المديريات بالوجهين البحرى والقبلى ، وهى تخدم ١٢٣ قرية بمجموع عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة .

(ثانياً) جمعيات الإصلاح الريفى :

وبجانب مشروع المراكز الاجتماعية عملت المصلحة على تكوين هيئات محلية من أهالى القرى لخدمة أنفسهم بأنفسهم ، سميت جمعيات الإصلاح الريفي ، تعتمد على الأهالى وجهودهم الشخصية فى الإصلاح تحت إشراف وتوجيه الموظفين الذين يقومون بزيارتها فى فترات دورية ، ويقارب اتجاه هذه الجمعيات اتجاه المراكز

الاجتماعية ، فتشكل بها نفس اللجان السابق ذكرها فى المراكز الاجتماعية ، وقد قام كثير من هذه الجمعيات بنشاط كبير فى النواحى الاقتصادية والصحية والاجتماعية والثقافية ، وأدوا خدمات كثيرة للقرى المنشأة بها .

وتتكون مالية هذه الجمعيات من الاشتراكات الدورية التى تحددها مجالس إداراتها ، ومن التبرعات والأرباح التى تدرها عليها مشروعاتها الاقتصادية مضافة إليها الإعانة التى تمدها بها الحكومة تبعاً لنشاطها ومجهوداتها وحسن سير العمل بها .

وقد تم تسجيل ٢٨ جمعية بالمصلحة حتى الآن موزعة على مختلف المديريات .

(ثالثاً) تشجيع الصناعات الريفية إلخ :

يتراوح متوسط أيام العمل فى السنة للعامل الزراعى بين ١٨٠ و ٢١٠ أيام أى أنه يقضى حوالى نصف السنة متعطلا ، وقد تقل أيام العمل دون ذلك كثيراً فى بعض المناطق ، وسوف تقل أيضاً بعد تعميم استعمال الآلات الزراعية الحديثة وهو أمر لا بد منـــه إن آجلا أو عاجلا ، هذا بجانب الزيادة المطردة فى عدد السكان ، وهو مما يعقد مشكلة البطالة بين صغار الفلاحين عامة وعمال الزراعة بصفة خاصة ، كل هذا دعا مصلحة الفلاح إلى التفكير فى استغلال أوقات فراغ الفلاحين على وجه يؤدى إلى زيادة دخل الأسر الفقيرة من أهل الريف ، وإيجاد مورد رزق ثابت لهم . ولتحقيق ذلك اتجهت المصلحة إلى نشر الصناعات الريفية وتعميمها فى قرى المراكز الاجتماعية وجمعيات الإصلاح الريفى . أما هذه الصناعات فهى :

١ ـ نسيج الأقمشة الشعبية على أنوال يدوية ، فيوجد بكل مركز اجتماعى أو جمعية إصلاح ريفى عدد من هذه الأنوال ، ويبلغ متوسط ما ينتجه النول الواحد من الزفير والدمور والجبردين نحو ٢٥٠ متراً فى الشهر ، وقد ساعدت هذه الصناعة كثيراً على توفير الأقمشة الشعبية الرخيصة زمن الحرب .

٢ ـ صناعة السجاد والكليم والبطاطين ـ يوجد ببعض قرى المراكز الاجتماعية وجمعيات الإصلاح الريفى ، نول أو أكثر لصناعة السجاد والأكلمة والبطاطين وقد تفوقت بعض هذه القرى فى إنتاج نوع ممتاز من السجاد ، حتى لقد أعجب جناب المستر كريج القومسير الجمركى فطلب تصدير كمية من السجاد المصرى والكليم المصنوع بقرى المراكز الاجتماعية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ورحبت

المصلحة بذلك وتم تصديرها خلال سنة ١٩٤٦ ، وقد ورد المصلحة تقرير يفيد إعجاب الأمريكيين وتقديرهم لهذه الصناعة المحلية اليدوية .

٣ ـ صناعة الجريد والليف ـ يوجد بالقرى التى تكثر بها مساحات النخيل صناعة الجريد لعمل الأقفاص والكراسى ، وكذلك صناعة دواسات الليف والمقشات وأحبال الليف .

٤ ـ صناعة خوص الطرابيش ـ حاولت بعض القرى عمل خوص الطرابيش خلال سنى الحرب وقد نجحت فى ذلك .

٥ ـ أشغال الإبرة والتريكو والتفصيل ـ يوجد بكل قرية من قرى المراكز الاجتماعية وجمعيات الإصلاح الريفى فرق من فتيات القرية يتعلمن أشغال الإبرة والتريكو وفن التفصيل تحت إشراف الزائرات الصحيات فى قرى المراكز الاجتماعية ، كما توالى معلمات الأشغال بالمصلحة زيارة هـذه القرى فى فترات متقاربة . وقد ساعدت هذه الصناعة على خلق مورد رزق ثابت لرقيقات الحال من فتيات القرى يعود عليهن وعلى ذويهن بربح يساعدهم على مواجهة أعباء المعيشة فضلا عن شغل أوقات فراغهن ، وقد أقامت المصلحة معرضاً للصناعات الريفية خلال شهر يونيه سنة ١٩١٩ عرضت فيه منتجات قرى المراكز الاجتماعية وجمعيات الإصلاح الريفى من الصناعات الريفية ، وقد لاقى هذا المعرض نجاحا كبيراً وتشجيعاً من الجميع .

وقد وضعت وزارة التجـارة والصناعة مشروع السنوات الخمس المراكز الصناعية بالقرى ، وهو يهدف إلى استغلال الخامات الأولية بالريف وتحويلها إلى منتجات صناعية بعد تعليم عدد كبير من سكانها هذه الصناعات . ولا يزال هـذا المشروع موضع البحث والدراسة .

(رابعاً) فرض خدمات اجتماعية وصحية على أصحاب العزب :

بعد أن قامت المصلحة بتنفيذ مشروع المراكز الاجتماعية لخدمة سكان القرى اقتصادياً وصحياً وما جاء به هذا المشروع من النتائج الطيبة ، رأت المصلحة ضرورة تعميم هذا الإصلاح ليشمل سكان العزب أيضاً ، فأعدت لذلك مشروع قانون بإلزام أصحاب العزب بتوفير المساكن الصحية لعمالهم وتزويدهم بمياه الشرب الصالحة مع خدمات أخرى صحية واجتماعية . وهـذا المشروع هو الآن موضع دراسة المختصين .

(خامساً) توزيع الأراضى الحكومية المستصلحة على صغار الفلاحين :

تعنى الحكومة عناية خاصة بطبقة صغار المزارعين وإنماء عددها ، ولذلك فقد أعدت مشروعاً لتوزيع أراضى الحكومة المستصلحة على صغار الفلاحين طبقاً لقواعد سليمة وشروط سخية ترمى إلى تشجيع هـذه الطبقة وحمايتها . وتتبع الحكومة سياسة تقصر فيها بيع أراضيها على هذه الطبقة من صغار الفلاحين .

هذا وقد سبق أن وزعت الحكومة ٤٦٦١ فدانا من أراضيها المستصلحة على العمال الزراعيين وصغار المستأجرين بشروط سهلة فى الجهات الآتية : بيلا سنة ١٢ وشالما سنة ٩١٤ فى شمال الدلتا وأبو جنشو سنة ٢٨ بمديرية الفيوم كما وزعت الحكومة إقطاعيات زراعية على خريجى كلية الزراعة ومدارس الزراعة المتوسطة تتراوح مساحة كل منها بين ٣٠ و ٤٥ فداناً .

(سادساً) رفع المستوى الثقافى لسكان الريف :

يزود كل مركز اجتماعى بمكتبة خاصة تضم من الكتب ما يلائم أهل الريف فى مختلف الشئون الدينية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والأدبية والزراعية وقد روعى فيها إشباع الاحتياجات الثقافية لمختلف الطبقات والأعمار فى القرية ، هذا بجانب الجرائد والمجلات والنشرات المختلفة التى ترد تباعاً لهذه المكتبات . كما يقوم كل من الإخصائى والطبيب والزائرة بإلقاء محاضرات على الأهالى فى مختلف الموضوعات التى تمس حياة أهل القرية .

وتعرض فى فترات مختلفة أشرطة سينمائية للتسلية والدعاية الصحية كما تمثل روايات مسرحية بواسطة فرق المسرح الشعبى التابع لوزارة الشئون الاجتماعية لتثقيف الفلاحين وتوسيع مداركهم وعلاج بعض العادات والتقاليد المتفشية فى الريف .

كما يساهم المركز الاجتماعي فى مكافحة الأمية بفتح أقسام ليلية لكبار السن من الأميين بالاتفاق مع وزارة المعارف . ويوجد بكل مركز اجتماعى جهاز راديو يستمع اليه أهالى القرية فى أوقات فراغهم وخاصة المحاضرات .

وفضلا عن ذلك توجد بقرى المراكز الاجتماعية وبعض جمعيات الإصلاح الريفى الأندية الريفية والفرق الرياضية وطوائف الأشبال التى تعمل على نشر الروح الرياضية بين الفلاحين .

نشر الصناعات الريفية فى مصر ☆

كان التعليم فى المدارس الأولية إلى عهد قريب يقتصر على تعليم الأطفال القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وبعض « المعلومات العامة » وكان كل ذلك يدرس على غرار واحد بصرف النظر عن اختلاف البيئات التى تقع فيها المدارس وكان من نتائج هذا التعليم الناقص أن ترك الفلاح المتعلم حقله وضاق ذرعا بحياة القرية فتركها إلى المدينة يبحث فيها عن عمل يتناسب مع ما حصله من العلم، وكان لهذه الهجرة أثرها فى قلة الأيدى العاملة فى القرى وكثرة المتعطلين فى المدن .

ولما تبين ذلك لرجال التربية أخذوا ينظرون فيما يصلح هذا التعليم بحيث تستطيع مدارس هذه المرحلة أن تفى بحاجة الفلاح وترفع مستواه الثقافى والاجتماعى وتحببه فى قريته ويألف العيشة فيها بأن يدخل على خطط الدراسة ومناهجها ما يمكنه من أن يتعلم علاوة على المواد الثقافية مواد تتصل اتصالا وثيقا بحياة القرية من زراعة وصناعة مع تبصيره بما يحفظ عليه صحته .

وكان من جراء هذا الاتجاه إنشاء المدارس الريفية فى عام ١٩٤٣ حيث أنشئت ٥٠ مدرسة فى صميم الريف بلغت الآن أكثر من مائتى مدرسة . وكان من أهم أهدافها توجيه الطفل منذ البداية توجيها عمليا يحبب اليه حياة الريف ويجعله ينظر إلى الزراعة وما يتبعها نظرة احترام ومحبة، ويمكنه فى المستقبل من الانتفاع بأوقات فراغه فيستغلها فى صناعات محلية يستخدم فيها بعض الخامات الزراعية التى تنبت فى أرض قريته أو القرى المجاورة فيرتفع بذلك مستوى معيشته .

ولتحقيق هذه الأهداف ألحق بكل مدرسة فدانان من الأراضى الزراعية لتكون بمثابة حقل للتعليم والتجارب ، كما عنى بتعيين التلاميذ بعض الصناعات الريفية التى لا يستغنى عنها الفلاح فى الحقل أو المنزل والتى تتوافر خاماتها فى بيئته ويسهل تدبير أدواتها بحيث يزاولها التلميذ فيما بعد فى منزله ويعاونه أفراد البيت .

وفيما يلى بعض هذه الخامات والصناعات التى جعلت أساساً لتنفيذ تلك الفكرة :

١ ـ الجريد : ويستعمل فى صناعة الأقفاص المختلفة وعمل الأثاث البسيط كالمقاعد والمناضد والأسرة والرفوف وحظائر الطيور .

(*) مذكرة عن المساعدة على نشر الصناعات الريفية فى مصر مقدمة إلى مؤتمر مؤسسة التغذية والزراعة لدول الشرق الأدنى من وزارة المعارف العمومية .

٢ ـ الخوص : وتعمل منه المنشات والمراوح والمقاطف والمراجين وأغمية الحيوان والمزابل والسلال ، ويصنع منه بعد فتله إلى حبال مختلفة السمك بعض الأثاث البسيط ، ويستعمل فى صناعة خوص الطرابيش والقبعات ، وهي صناعة تقدمت فى مصر زمن الحرب .

٣ ـ الليف : ويستعمل فى عمل ما يلزم الحقل كالأشناف والمزابل والقيود ، وفى عمل بعض ما يلزم المنزل كالدواسات والأبراش والمكانس والمذبات وغيرها .

٤ ـ عيدان الحناء والغاب : تصنع منها السلال المنوعة والمشنات المختلفة وعربات الأطفال وحواجز النباتات وحظائر الدواجن .

٥ ـ السمار بأنواعه : يعمل منه الحصر والسلال المختلفة وحصر الجبن وغير ذلك .

٦ ـ ذرة المكانس : وتعمل منها المكانس وفرش النظافة ، وهى تزرع فى حقول بعض المدارس التى أدخلت بها بعض الصناعات الأخرى التى لا يستغنى عنها الفلاح فى حياته كالغزل والنسيج من القطن والكتان والصوف وانتاج الأقمشة الشعبية باستخدام أنوال بسيطة ، واستعمال الصلصال والطمى فى ضرب الطوب وعمل الأوانى الريفية ، وروعى تعليم التلميذ مبادىء البناء وطرق إنشاء الحظائر والأفران وتجميل الحدائق .

ويشمل برنامج تلك المدارس أيضاً تعليم فن النجارة الريفية البسيطة وتمرين التلاميذ على عمل الأدوات الخشبية اللازمة للفلاحة كالمدراة ولوح الدراس .

وتدخل فى برنامجها أيضاً الصناعات الزراعية كتربية النحل و « دودة القز » والدواجن وحلب اللبن وتسويقه ونقله واستخلاص منتجاته وعمل الشراب والمربات وأنواع المخللات وجمع البلح وتنظيفه وتعبئته وغير ذلك .

هذا وقد لوحظ اختيار المدرسين الاخصائيين وتزويد المدارس بالإرشادات اللازمة فى كل هذه النواحى ، وترك لها حرية اختيار الصناعات التى تناسب بيئتها .

وقد عمدت الوزارة أيضا على أن ينال الكبار ممن تكافح أميتهم قسطا من هذه الثقافة فأنشأت بعض مشاغل تلحق بأقسام مكافحة الأمية يتعلم فيها الملحقون بتلك الأقسام بعض هذه الصناعات فى غير الأوقات التى تكافح فيها أميتهم ، وذلك رغبة فى نشر هذه الصناعات فى الريف ، وتمكينا لسكان القرى من الانتفاع بالخامات الموجودة فى بيئتهم ، وكذلك بأوقات فراغهم وفتح باب جديد لرفع مستوى معيشتهم .